جامعة محمد بوضياف المسيلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة مقياس المصادر الفلسفية

الأستاذ: بوراس يوسف

المحاضرة الثانية: جمهورية أفلاطون (تابع).

سادسا: مبدأ الاستحقاق وتوزيع الوظائف: ينطلق أفلاطون في تقديمه لمفهوم العدالة من تفنيده للمفاهيم السفسطائية المتداولة، فقد عرفها (كيفالوس) و (بوليمارخوس) بأنها: "الصدق في القول والوفاء بالدين"، وزاد عليه (بوليمارخوس) بأن عرفها بأنها: "إعطاء كل ذي حق حقه" وهو ما يعني: "تقديم الخير للأصدقاء، وإلحاق الأذى بالأعداء"[1] ويلاحظ هنا أن هذه التعريف قد قام على قاعدة فردية أنانية، لا أخلاقية خصوصا عندما يتعلق الأمر بإيذاء الآخرين.

ليأتي بعد ذلك تعريف (تراسيماخوس) الذي قال فيه بأنها: (هي صالح الأقوى) ومادام الحاكم هو الأقوى، فإن العدالة تسير في مصلحته، وبالتالي فإن كل نظام يسعى لتطويع العدالة لمرجعيته، فالعدالة الديمقراطية ديمقراطية، والعدالة الأرستقراطية أرستقراطية، وهكذا. "فللعدالة في جميع الدول معنى واحد هو صالح الحكم القائم، ولما كان المفروض ضرورة أن الحكومة هي الأقوى فالنتيجة الوحيدة المعقولة هي أن مبدأ العدالة واحد في كل شيء وهو صالح الأقوى"[2]، وقد كان الرد الأفلاطوني أنه لا ينتظر من الحاكم يكون أنانيا ف"الحاكم الصحيح لا ينتظر منه أن يرعى مصالحه الخاصة، وإنما يرعى مصلحة رعيته"[3]، وإن أخذ الحاكم أجرا على عمله فلكونه إنسانا يحتاج لذلك الأجر، أو أجيرا عند الجهاز الاجتماعي، وليس لكونه حاكما في حد ذاته.

هذا عن رده عن المفاهيم الخاطئة عن العدالة التي تقيمها على الخوف أو السيطرة، وهي معايير نفعية نسبية، لذلك جاء المعيار الذي يقيم عليه عدالته مطلقا، وضامنه في ذلك أنه ينطلق من مقياس الطبيعة الثابت، فإذا كان كل شيء مؤهل بالطبيعة لأداء وظيفة معينة، فكمال الفرس وفضيلته أن يحسن أداء وظيفته، وكمال العين أن تحسن الإبصار، فإن كمال النفس أن تمارس العدل وليس الظلم بأداء وظيفتها في الإنسان بصورة كاملة، وبالقياس على النفس يكون كمال الدولة، فالعدالة فيها أن يقوم كل فرد بما هو مؤهل له من وظيفة، وقيام كل طبقة من طبقاتها بوظيفتها على خير وجه[4]، يقول: "أعظم أسباب كمال الدولة هي تلك الفضيلة التي تجعل كلا من الأطفال والنساء والعبيد والأحرار والصناع والحاكمين والمحكومين يؤدي عمله دون أن يتدخل في عمل غيره"[5].

---

[1] مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار قباء، 2000، بد ط، ص265.

[2] المرجع نفسه، ص265، ص266.

[3] المرجع نفسه، ص266.

[4] مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية ، المرجع السابق، ص266.

[5] المرجع نفسه، ص267.

ووفق هذا المفهوم للعدالة القائم على احترام التفاوت الطبيعي بين الناس، فإنه على الدولة ـــ مثلما ألمحنا ـــ أن تحترم التمايز الطبقي وتأخذ به، حيث تتحدد الطبقية تبعا لأنواع النفوس الإنسانية: النفس الناطقة، والنفس الغضبية، والنفس الغاذية الشهوانية. فتقابل النفس الأولى طبقة الفلاسفة وفضيلتها الحكمة، والثانية طبقة الجند وفضيلتها الشجاعة، والثالثة الصناع وأصحاب المهن وفضيلتها العفة. ويشبه أفلاطون هذه الطبقات بالمعادن، فيمثل الطبقة الأولى بمعدن الذهب، والثانية بمعدن الفضة، والثالثة بمعدن النحاس.

وعليه فإن العدالة تقوم على الاستحقاق القائم على احترام التخصص الذي تهبه الطبيعة للإنسان، وليس على مبدأ المساواة، الذي هو مفهوم بالإضافة لكونه خياليا فإنه قائم على مبدأ ظالم، لما فيه من منح من لا يستحق الوظيفة الغير ملائمة لطبيعته، كما أن منتوجه الاجتماعي يبدو أكثر خطورة، إذ يهدد توازن هذا المجتمع، إن لم يهدد وجوده في حد ذاته. لذلك كان المبدأ المناسب هو"أن يمتلك المرء ما ينتمي إليه فعلا، ويؤدي الوظيفة الخاصة به"[6]، ولذلك فمن خصائص الدولة الأفلاطونية هو أن "الحذاء فيها حذاء فحسب، وليس ملاحا في الوقت نفسه، وأن الزارع زارع فقط، وليس قاضيا في الوقت ذاته، وأن الجندي جندي وليس تاجر كذلك"[7].

3: وظيفة الدولة التربوية: إذا كان قوام العدالة عند أفلاطون قائم بالأساس على مبدأ الاستحقاق والكفاءة "باعتبارها عمل كل فرد وكل طبقة لعملها الذي تختص به"[8]، فإن التربية عنده هي تجسيد لهذا المقياس، وبرهان على صحته، وإذا كان للعدالة جهاز يضمنها، فإن هذا الجهاز ذاته ممثلا في الدولة هو الذي يقوم على أمر التربية، إذ أن الحفاظ على صورة الدولة العادلة لابد وأن يمر بمنهج قويم في التربية يسعى إلى الحفاظ على هيكليتها وروحها.

ومن هنا جاءت التربية عند أفلاطون محافظة على التراتبية الاجتماعية المبنية على الطبيعة البشرية، هادفة بالأساس إلى ضمان حماية الدولة من خلال إيجاد حراسها ممثلين في طبقة الحكام، مرورا بطبقة الحراس، إذ أن العملية التربوية بالأساس إنما تستهدف هذين الطبقتين دون أن تهمل الطبقة الثالثة.

تمر التربية عنده بأربع مراحل، تشمل في أول مرحلة منها جميع أطفال المجتمع دون تمييز طبقي أو على أساس الجنس، وتستمر من سن العاشرة إلى سن الثامنة عشر، ويركز فيها على الجانبين البدني والنفسي. حيث يعتمد على التغذية المتوازنة، وممارسة الرياضة في الجانب الأول، وعلى الآداب والموسيقى الراقية في الجانب الثاني. وأما الشعر الذي يجب أن يسمع فهو الشعر الصادق الذي يهذب النفس ويعوّدها على ممارسة الفضيلة، ولذلك منع شعر كل من هوميروس وهزيود من التدريس لاحتوائه على قدر كبير من الكذب والمبالغة.

---

[6] إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، دار الفجر، ط1، 2001، ص37.
[7] إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، المرجع السابق، ص37.
[8] عزت قرني، الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، جامعة الكويت، 1992، ص170.

وكذلك الحال مع الموسيقى والأغاني التي تقوم على الكلمات واللحن والإيقاع، فإنه يشترط فيها مثل الشعر الابتعاد عن الثمالة والليونة والكسل، بل وتخلق فيه الذوق الرفيع الذي يجعله يعلي من الفضيلة، ويمقت الرذائل حتى قبل أن يفكر فيها بعقله[9].

وعن أسلوب التربية، فإن أفلاطون يحبذها أن تمارس في إطار من الحرية حيث يوصي المعلمين بأن يجعلوا: "التعليم يبدو لهوا بالنسبة للأطفال حتى يتمكنوا من اكتشاف ميولهم الطبيعية ويركزوا على تنميتها"[10] .

وأما المرحلة الثالثة فتستمر من الثامنة عشرة حتى الثلاثين، والهدف منها إعداد التلاميذ لتلقي الفلسفة (الدياليكتيك)، وتخصص السنتين الأولتين للتمارين البدنية لاستحالة أن يكون معها أمر آخر؛ ليليه إلى سن الثلاثين مرحلة الدراسة النظرية للعلوم وخاصة التي تركز على الأمور المجردة وخاصة الرياضيات "باعتبارها خير معيار نميز به المواهب القادرة على دراسة الدياليكتيك"[11].

وتلي هذه المرحلة المرحلة الثالثة والتي تدوم خمس سنوات حيث يتناولون فيه الديالكتيك بالدراسة، وهو ما يمكنهم من الارتقاء في مستويات التجريد حيث يتمكنون من الارتقاء إلى الوجود الخالص سعيا وراء الحقيقة دون معونة العين أو أي حاسةأخرى"[12]. وهنا يتم تعليم الجدل، غير أن الغرض من ذلك لا يتعدّى الوصول إلى الحقيقة، وليس التغلب على الخصوم في حد ذاته، أو إلباس الباطل لباس الحق.

وأما المرحلة الرابعة فتدوم خمسة عشر سنة، إذ تستمر حتى سن الخمسين، حيث يتجه فيها الجنود إلى ممارسة الأعمال في الواقع سواء أكانت عسكرية أو إدارية، وهو ما يضيف إلى معارفهم النظرية الخبرة العملية، وهو يهدف من ذلك تقديم الانموذج العملي الذي يستطيع به الفرد من الارتقاء من الواقعة إلى المثال الذي تلقاه مسبقا، وهو ما يسمح له من معاينة الخير في ذاته وينظم المدينة على أنموذجه. وتلي هذه المرحلة مرحلة اختيار الحاكم، أو من يديرون شؤون الدولة، إذ تكون الحضوة لمن حقق أحسن المراتب في جملة المراحل، وهم الذين بإمكانهم تحقي التوازن والعدالة لهذه الدولة.

يبقى علينا أن نشير إلى جملة من النقاط، وأولها شيوعية النساء بين الجنود، بحيث لا يكون للجندي مرأة بعينها، والهدف من هذا عدم شغلهم عن مهامهم الحقيقية في التعلم أو الدفاع. هذا الأمر الذي ينسحب على الأطفال أيضاً فلا يعرف الإبن أباه ولا الأب إبنه، حيث يعوض الطفل جو الأسرة بما توفره الدولة من حياة مشتركة، وهو ما يحقق المجتمع المتكامل.

---

[9] مصطفى النشار، المرجع السابق، ص272.
[10] المرجع نفسه، ص273.
[11] المرجع نفسه، ص273.
[12] المرجع نفسه، ص274.

كما أن التربية في جميع مراحلها تشمل الجنسين كلاهما، وأفلاطون يرى بأن المرأة وإن كانت أضعف من الرجل في بدنها أو عقلها وهذا تبعا لطبيعتها الخاصة، لكن هذا لا يمنع مشاركتها الذكور تدريباتهم أو دراستهم أو ممارسة الشؤون الإدارية أو الحربية...

وبالإضافة إلى ذلك فهو يمنع عن الجنود الذين هم حماة هذه الدولة التملك، لأنهم لو تملكوا الأموال والحقول والبيوت والعبيد لتحولوا إلى تجار وزراع، ولأدى جمعهم للأموال إلى تحولهم إلى طغاة، فآفة السلطة المال. لذلك فهو لا يعطيهم في السنة إلا ما يستهلكونه أثناءها حيث لا يبقون منه شيء.

4: العلم والسياسة: بما أنّ الدولة الفاضلة عند أفلاطون إنما هي دولة الفلاسفة، حيث تحكم من طرف القوى العاقلة في جانبيها: النفسي حيث تتأمر قوة العقل على القوى الغضبية والشهوية، واجتماعيا حيث تسود فئة العقلاء على بقية الطبقات الاجتماعية، فإذا كانت المعرفة الحقة عند أفلاطون كلية مطلقة سرمدية فهي واحدة للجميع لا تتغير ولا تتبدل متناغمة كونها ترتبط بعالم المثل، وهي تختلف عن المحسوسات التي تمتاز بالتغير والنسبية والتعارض فيما بينها والاختلاف من شخص لآخر[13].

وانطلاقا مما سبق فإن ما يعول عليه حكام المدينة الفاضلة هو هذا النوع من المعرفة، والذي يجري تلقينهم له وتربيتهم عليه، حيث أن ما يجب أن يتعلموه هو أن مثال الخير هو معيار كل ما يجب أن يعرف، يقول: "ما يضفي الحقيقة على موضوعات المعرفة، وما يضفي ملكة المعرفة على المعارف، هو مثال الخير، فهو علة المعرفة الحقيقية"[14]، فالحاكم الفيلسوف على دراية بالعلم الأنطلوجي الذي هو العلم الحق كونه يبحث في المبدأ الأول في مقابل الكثرة، إذ يبحث في العدل في ذاته.

وتستند السياسة من هذا المنظور إلى الخير المطلق ليس لمنحها القابلية أن تعرف فقط، بل لأن توجد أصلا، فإذا كان عماد الدولة الفاضلة العدل، فإن العدالة مرتبطة في وجودها بالخير المطلق، ولذلك كانت معرفته مقدمة لتصور مثال العدل، لارتباط وجود الثاني بالأول، والمخول بمعرفة ذلك هم فئة الفلاسفة، ولذلك كانت جدارتهم لحكم المدينة.

ولذلك كان من الواجب أن تلتقي في الحاكم صفة القيادة والفلسفة، صفة تعليهم عن القانون وتغنيهم عنه، فكونهم يرتقون إلى معرفة الخير، فهم يحققونه، وهم بذلك يترفعون عن النقائص البشرية من لذة وجشع وتسلط وظلم، وكل ما يرتبط بالطبائع البشرية الوضيعة، ويرتقون مع الروح في مطالبها السامية. ولذلك ارتبط علم السياسة عند أفلاطون بعلم الميتافيزيقا، من جهة كونه المبحث الذي يهتم بالمطلق، والمطلق المقصود في هذا السياق هو الخير.

---

[13] عبد الرحمان مرحبا، المرجع السابق، ص127.
[14] إسماعيل زروخي، المرجع السابق، ص47.